محمود محمد طه

الإسلام والفنون

صفر ١٣٩٤ - مارس ١٩٧٤

الاهداء

الى المنفتحين على الله ،
السالكين اليه كل السبل ،
فانه ان من شيء الا وهو
الى الله سبيل ! !
« وان من شيء الا يسبح
بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم .. »

بســـــم اللـــه الرحمـــــن الرحيـــم

« تسبح له السموات السبع ، والارض ، ومن فيهن •• وإن مـن شيء الا يسبح بحمـده ، ولكـن لا تفقهـون تسبيحهم •• انه كـان حليماً غفـورا •• »

صـــدق اللـه العظيـم

المقـــدمـة :

هـــذه مقدمة كتاب « الاسلام والفنون » وهـو عبارة عـن متن محاضرة القيت علـى طلبة « كلية الفنون الجميلة والتطبيقية » ، وضيوفهم ، وذلك فى يوم الثلاثاء ، ٢٤/٩/١٩٦٨ •• ولقـد اخذت هـذه المحاضرة عـن الشريط ، وهى تجـرى بلغة الكلام ، لا بلغة الكتابة •• كذلك وردت فى الاصل ••

ولقـد اسمينا هـذا الكتاب : « الاسلام والفنون » •• ولقـد كان من الممكن ان نسميه : « الفنون والاسلام » ، ولكننا آثرنا الاول لأن تقـديم كلمة الاسلام فيه توخ للحكمة التى توجب تقـديم الفاضل علـى المفضول ، فذلك أمر لا معـدى عنه ، ولكننا كنا ، حين تعديناه فى فكرتنا ، وحين هممنا بتسمية الكتاب علـى النحو المشار اليه آنفا ، كنا نعتذر عـن هـذا الصنيع بخطتين اثنتين : كون هـذا الكتاب يعنى ، فى المكـان الاول ، بالفنون ، ثم يضعها موضعها فى الاسلام •• هـذه واحدة ، والثانية ان الفن ، والاسلام ، لصيقان ، وتوأمان •• وهـذا يقتضى تعريف الفن ، وتعريف الاسلام ••

الفـــن :

فأما الفن فقـد سبق لنا أن عـرفناه فى متن هـذه المحاضرة ، وذلك حيث قلنـا : أن الفن هـو وسيلة التعبير عـن ملكة التعبير •• وقلنا يومها ان ملكة التعبير انمـا هى الحياة •• والحياة تعبر عـن نفسها بوسائل مختلفة ، فى مستويات مختلفة •• فهى تعبر عـن نفسها

بالحركة ، وتعبر عـن نفسها بالغذاء ، وتعبر عـن نفسها بالتناسـل ، كمـا تعبر عــن نفسها بالشـعر ، وبالنثر ، وبالغناء ، وبالـرقص ، وبالنحت ، وبالرسم ، وبالتصوير ، وبالتمثيل ، وبالموسيقى ، وبغـيرها مـن ضروب الطاقة الفكـرية ، والجسدية ، التى تفيض ، وتتبجس ••

فهل يعنى هـذا ان كـل اساليب الحياة للتعبير عـن نفسها فـن ؟؟ نعم !! هـذا علـى التعميم ، وفى جملة الامر ، صـحيح •• بيد أن صـور التعبير التى تمارسها الحياة البـدائية تعتبر فناً فجاً ، وتزيد فجاجته كلما انحصر فى التعبير عـن مجرد نوازع المعدة ، والجسد ••

اننا لا نسمى اساليب الحيـاة ، فى التعبير عـن نفسها ، فنا ، بالمعنى المخصص لهذه الكلمة ، الا اذا ما دخلت هـذه الاساليب علـى مستوى التعبير عـن القيمة ــ القيمة فى الحياة ــ واعلى قيم الحياة الحرية ••

هناك الطـاقة الحياتية ، وهناك الطاقة العقلية ، وانما بالطـاقة العقلية دخلت القيمة فى الحياة •• فالفن انما هـو تعبير الطاقة الحياتية عـن نفسها من خلال مصافى العقول المرتاضة ، الصافية ، القوية الادراك ••

الفن هـو التعبير عـن حياة الفكر ، وحياة الشعور ، فى آن معـاً ••

والطـاقة الحياتية انما هى اصل الحياة ، فى سـذاجة ، وبساطة •• وهى لا تفلسف ، ولا تتأنق ، ولا تحتفل ، حين تعبر عـن نفسها •• واسـلوبها فى التعبير اسلوب القصـد الصريح ، فى ممارسة اللذة ، واجتناب الالم •• ولكننا نحـن لا نعتبر اندفاعات الشـهوة فى هـذا المستوى فنا مـن الفنون •• وانما الفـن تعبير الشـهوة المحكـومة بالعقل المهـذب ، المروض المنضبط بقـواعد الخلق الرصين •• وانما مــن اجل ترويض ، وتهـذيب ، العقول حمدت مسـاعى الفنون ، فى صورها المختلفة ، وبأساليبها المختلفة •• وانما قيمة كـل اسـلوب من اساليب الفنون هى قيمة ما يقربنا مـن تلك الغـاية •• وفى هـذا المضمار يقـع التفاوت بين أفانين الفنون ، وفيـه أيضا يقـع اختلافه

ما بين الفــن والدين ــ الاســلام •• ومعلوم انــه انما هــو دائماً اختلاف مقدار •• ولقــد تعرضنا لتعريف الفــن فى الاســطر القليلة الماضية ، ولقــد قررنا هنــاك أن الفــن والاسلام لصيقان ، وهـــذا يعنى انهما وجهــان لامر واحــد •• هــذا الامر الواحد انما هـــو الحياة •• فالفــن اسلوب تعبير للحياة به يزيد عمقها ، واتساعها •• والاسلام اسلوب تعبير للحياة به يزيد عمقها ، واتساعها •• ولكـــن اسلوب الاسلام اشمل ، واعمق ، وابعد مدى ، من اسلوب الفنون •• ولقــد وردت الاشارة الى الاسلوبين : اســلوب الفنون ، واسـلوب الاســلام ، فى الاية الكــريمة : « سنريهم اياتنا ، فى الآفــاق ، وفى انفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحــق •• أولم يكف بربك انه علـــى كل شىء شــهيد ؟؟ » •• فهــذه آيات الآفــاق ، وآيات النفوس •• وهى جميعها موضوع الفنون ، وموضوع الاسلام •• فأما الفنون فانها تعنى بآيات الآفــاق ، اكثر مما تعنى بآيات النفوس ، ولكــن عنايتهــا بهــذه غــير غائبة •• واما الاسلام فانه يعنى بآيات الآفاق ، ويتخذها مجــازاً الى آيات النفوس ، وعنــايته بهــذه ، وبخاصة فى اخــريات مراقيه ، اكبر واعظم •• وللعلم التجــريبى فى هــذين مجال ، ولكنه ليس هنا بذى بال •• ويكفى فيــه ان يقــال : ان الفــن ، والدين ، والعلم ، متداخلة ، والاختلاف بينها انما هــو اختلاف مقدار ••

الاســـــلام :

وعنــد الاسلام آيــات النفوس مقصــودة بالاصالة ، وآيــات الآفــاق مقصودة بالحــوالة ، بمعنى ان الانسان يعبر علــى آيــات الظــاهر ليصل الى فهم آيــات الباطن ، فينسقها مــع الظــاهر حتى تستقيم له حياته ، وتتعمق ، وتتسع •• وفى الاسلام الظاهر انما هــو ظل للباطن ــ الكــون الظاهر انما هــو الكــون الباطن فى حالة بروز

وتجسيد •• والاسلام انما يعني الانقياد ، والاستسلام •• وهـو يبدأ بمحاولة الحى ان يوجـد نوعاً مـن العـلاقة الحميمة بينه وبين البيئة الطبيعية التى يعيش فيها وذلك باقامة نوع من المصالحة ، والمصادقة ، والمودة معها •• أو نوع مـن التقية ، والمحـاذرة ، والخشية منها •• ومن ههنا نشأت العبادة ، ونشأ العلم ، ونشأ الفـن ••

ان الوجـود المـادى ، المحسوس ، انما هـو لحن من الموسيقى العلوية •• هـو لحن متسـق ، منسجم ، مهـذب ، لا نشوز فيـه ، ولا شذوذ •• ونحـن الآن انما نتعلم العلم لكى نستطيع به ان نسير بحياتنا فى مصاقبة ، وفى سلام مـع هـذا اللحن العلوى العظيم •• نحـن انما نتعلم العلم الذى يعيننا علـى تنغيم حياتنا مـع بيئتنا •• ولقـد علمنا ان هـذا العلم لن يكـون علم الظواهر الطبيعية ، فحسب ، وانما هـو علم الظواهر والبواطن — علم آيـات الآفـاق ، وآيـات النفوس — وبواطن الظواهر تقـول : ان الكـون المادى ، المحسوس ، انما هـو الارادة الالهية جمدت ، وتجسدت •• ان الكون هو مظهر قدرة الله ، تبارك ، وتعالى ، فانه ، تبارك وتعالى ، عنـدما أراد اظهار المخلوقات احـاط بها علماً ، باسمه العـالم •• ثم خصص الصورة البدائية لظهـورها ، وذلـك باسمه المريد ، ثم أبرز هـذه الصورة ، الى حيز المحسوس ، وذلك باسمه القادر •• وباسم القـادر تم تجسيد العلم الالهى •• والعلم الالهى صـفة قديمة ، قائمة بـذات الله القديمة •• فما هـو غيرها ، وانما هـو هى ، فى مرتبة التنزل ، لتظهر ، لتعـرف ••

ان البيئة التى نعيش فيها انما هى بيئة روحية تجسدت ، وكـان من تجسيدها السموات ، والارض ، وما فيهما ، وما بينهما ، واصـبح علينا ، لكى نعيش فى وئام مـع بيئتنا ، ان نعلم ظاهرها — آيـات الآفاق ، ونعلم باطنها — آيـات النفوس •• قال تعـالى ، فى ذلـك ،

« سنريهم آيـاتنا ، فى الآفـاق ، وفى انفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحق .. أولم يكف بربك انه علـى كل شيء شهيد ؟؟ » ونحـن ، مـن اجل هـذا العلم ، نحتاج العلم التجريبى ، وهـذا اكثر تركيزاً علـى الظواهر ، منه علـى البواطن .. بل هـو يكاد يقتصر علـى الظـواهر وحـدها .. ونحـن ، مـن اجل هـذا العلم ، نحتـاج الفنون ، بكـل صورها ، وضروبها ، وهـذه موزعة بين الظـواهر والبواطن ، وتركيزها علـى الظواهر اعظم ، ودخولها فى البواطن غير موجه بالنهج الـذى يضمن لهـا التغلغل فى هـذه البواطن ، ممـا يزود الفنان بالقدر الكافى مـن علـم اسرارها ، وانما هى تقتصر علـى الهامات نفس الفنان ، وموهبته ..

ونحـن نحتاج الدين مـن اجل هـذا العلم .. والدين يبدأ بالظواهر ، ويتخذها معبراً الى البواطن .. وهـو انما يزيد تركيزه على البواطن كلما تمرس المتدين بمنهاج العبادة ، وكلما روض عقله ، وقلبه ، علـى ادب الشريعة ، وادب الحقيقة .. « أولم يكف بربك انه علـى كل شيء شهيد ؟؟ » اشارة الى الاسـتغناء بالبواطن عـن الظواهر .. اشارة الى الاستغناء بالله عـن جميع الخلق .. وذلك انما يكون عنـد الاستواء ، حيث لا يبقى ، فى الوجـود ، غير العبد ، والرب — العبيد الآخرون موجـودون ، ولكن وجـودهم لا يتخذ وسيلة الى معرفة الله ، وانما معرفة الله وسيلتها ذاتها — هـذه تبدأ عند نهايات البدايات ، ويطالع بهـا المصطفون ، الأخيار ، فى هـذه الدار ، ثم لا تكـون لنهاياتها نهايات ، وانما هـو الترقى السرمدى ..

المـوسـيقى :

الموسيقى اسمى الفنون ، واعلاها ، واقدمها .. وهى ، فى حقيقتها القديمة ، هـذا اللحن العلوى ، الذى تحرك فى سلمه السباعى ، يحكى

منازل الانسان وهو يسير فى طريق الاغتراب ، ثم يحكيها وهو يسير فى طريق الرجعى الى الوطن القديم •• هذه الحركة هى المحكية فى قوله ، تبارك ، وتعالى : « لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم * ثم رددناه اسفل سافلين * الا الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، فلهم اجر غير ممنون » •• فى هذه ثلاث الآيات جاءت صورة الاغتراب ، وصورة العودة من الاغتراب •• هذه الحركة ، فى الهبوط ، وفى الرجعى ، هى حقيقة الموسيقى •• وهى ، فى جميع مراحلها فى البعد والقرب ، ذات سلم سباعى •• مرحلتها الاولى ، فى طريق البعد ، الصفات السبع : الحى ، العالم ، المريد ، القادر ، السميع ، البصير ، المتكلم •• ومرحلتها الثانية الحواس السبع : القلب ، والعقل ، والسمع ، والبصر ، والشم ، والذوق ، واللمس •• ومرحلتها الثالثة النفوس السبع : الكاملة ، والمرضية ، والراضية ، والمطمئنة ، والملهمة ، واللوامة ، والأمارة •• ومرحلتها الرابعة الايام السبعة : الأحد ، والاثنين ، والثلاثاء ، والاربعاء ، والخميس ، والجمعة ، والسبت •• ومرحلتها الخامسة السموات السبع : السماء السابعة ، والسادسة ، والخامسة ، والرابعة ، والثالثة ، والثانية ، والأولى •• ومرحلتها السادسة الأرضين السبع : الارض الأولى ، والثانية ، والثالثة ، والرابعة ، والخامسة ، والسادسة ، والسابعة •• ومركز هذه هو اسفل سافلين المشار اليه فى الآية الكريمة ، حيث قال ، جل من قائل : « ثم رددناه أسفل سافلين » •• وقد نزل الانسان هذه المنزلة فى مرحلة التنزل السابعة •• ثم انه استأنف سيره ، فى طريق الرجعى ، من هذا البعد السحيق •• ولقد جاءه الاذن بان يأخذ فى طريق الرجعى ، وذلك حيث حكى الله تبارك وتعالى عنه : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، انه هو التواب الرحيم •• » وانما

تاب عليه ليتوب — يعني ليرجع ..

وفي اسفل سافلين ، وهو مركز الارض السابعة ، كان آدم في ادنى درجات التجسيد — ذرة غاز الهيدروجين .. ثم انه استأنف سيره في طريق الرجعى فنزل المنازل المختلفة .. وحين دخل مرتبة المادة العضوية ، وظهر في حيوان الخلية الواحدة ، بدأت الحواس بحاسة اللمس (الحس) .. واطرد ترقيه حتى دخل مرتبة الحيوان السوي ، المكتمل .. وهذا معنى قوله تبارك وتعالى : « فاذا سويته » .. ثم اطرد ترقيه ، ودخل مرتبة البشرية ، وصار له عقل .. فذلك معنى قوله تعالى : « ونفخت فيه من روحي » .. ثم انه نزل منزلة التكليف ، حين صار له عقل ، وحين اصبح له في ملكوت الله ذكر ، بعد ان لم يكن .. فذلك معنى قوله تعالى : « هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكوراً ؟؟ »

هذه هي الموسيقى في حقيقتها العليا .. هذا اللحن المنسجم ، المنسق ، المهذب الحواشي ، المنطلق في طريقي الصدور والورود — الصدور من موطنه الأول الى موطن البعد والاغتراب ، والورود من هذا البعد آيباً الى موطنه الاول من جديد بعد طول هذا الاغتراب ، وطول هذا البعد — هذا اللحن — هذه الحركة المحتشدة — هو الموسيقى في حقيقتها العليه ..

وطريق الأوبة ، من اسفل سافلين ، الى الموطن الاول ، في احسن تقويم ، طريق مرسوم عبر الارضين السبع ، والسموات السبع ، في تعاقب الايام السبعة ، في مراقي النفوس السبع ، والحواس السبع ، والصفات السبع ، الى مرتبة الانسان الكامل ذات المقامات السبعة ..

وفي اثناء طريق العودة ، ومن خلال تعاقب الايام السبعة ، نشأت العناصر المختلفة ، ثم نشأت الحياة ، ونشأت الأديان ، ونشأته

العلوم ، ونشأت الفنون ، وذلك فى الآماد السحيقة ، من الازمنة السحيقة •• ونحن ، فى هذا المجال الضيق ، لا يسعنا الا ان نقفز قفزة كبيرة ، نصل بها الى نهايات البدايات ، حيث الأديان والعلوم التى نألفها اليوم ، وحيث الفنون فى المستوى الذى نعرفه عن الكلمة المنظومة ، وللكلمة المنثورة ، وحيث النحت ، والرسم ، والتصوير ، والغناء ، والرقص ، والموسيقى ، والتمثيل ، وبقية ضروب الفنون •• واعرق الفنون ، واعظمها ، واشرفها ، على اطلاقها ، الموسيقى •• وانما يجيء شرفها من امرين : احدهما ارتباطها بالاصوات ، والصوت لازمة لا تنفك عن الحركة ، والحركة اصل الوجود الحادث ، على اطلاقه •• وثانيهما انها تدرك بحاسة السمع •• وحاسة السمع اشرف الحواس السبع (ما عدا القلب والعقل) فهى تلى القلب ، والعقل ، وتجيء بعدها حاسة البصر ، ثم حاسة الشم ، ثم حاسة الذوق ، ثم حاسة اللمس (الحس) •• ويجيء شرف حاسة السمع على حاسة البصر ، وبقية الحواس الاخرى ، من سعة ما تؤدى الى العقل من معلومات ، والى القلب من احاسيس •• هذا ما من اجله قدم السمع على البصر فى سائر آيات القرآن ، واعطى منزلة الشرف فيها ••

السمع يتأثر بالاصوات ويؤديها الى العقل ، والقلب •• والاصوات هى الأكوان جميعها ، المرئى منها ، وغير المرئى ، والمسموع منها ، وغير المسموع •• فانه ما من شيء فى الكون الحادث الا وهو فى حركة لا تنقطع ، حتى اكثف المواد التى نراها ، ونعرفها ، فانها ، فى الحقيقة ، مهلهلة ، مخللة بفجوات تتحرك فيها ذرات تكوينها حركة متصلة كما تتحرك ذرات البخار فى السحابة « وترى الجبال تحسبها جامدة ، وهى تمر مر السحاب •• صنع الله الذى اتقن كل شيء •• انه خبير بما تفعلون •• » وكل متحرك لابد مصوت ، ولكننا

نحن لا نسمع الا قطاعاً خاصاً ، وصغيراً جداً ، من اصوات هذه العناصر المتحركة .. ان ما نسمعه منها بالنسبة الى ما لا نسمعه كالنقطة من المحيط بل هى اصغر .. ولقد قيدنا بعض الاصوات التى نسمعها فيما سمى بالحروف الرقمية وهى ، عندنا فى اللغة العربية ، ثمانية وعشرون حرفاً ، هى الحروف الأبجدية المعروفة ، هذا اذا لم نعد لام الألف والهمزة المقطوعة .. وهناك كثير من الأصوات التى نسمعها لا تخضع فى ضبطها للحروف الرقمية .. وجاء تسجيل الموسيقى للأصوات بصورة أوفى من تسجيل الحروف الرقمية .. وهو ذو سلم سباعى هدفه دقة التنغيم فى الانتقال بين مستويين من مستويات الصوت ، وكأنه ، فى ذلك ، حكاية لأطوار الخلق السبعة التى سبقت الاشارة اليها ، فى امر الصفات ، والحواس ، والنفوس ، والسموات ، والأرضين ، والايام .. وغرض الموسيقى من اللحن المنغم ، المتسق ، المهذبه الحواشى ، ان توجد فى داخل النفس البشرية نوعا من التنغيم ، والاتساق ، والتهذيب ، يحل محل التشويش ، والنشاز ، الذى يعتمل فيها .. هذا هو السر فى الراحة التى تجدها النفس عند الاستماع الى قطعة من الموسيقى الراقية ، ومع ذلك فان الموسيقى ، فى جميع مستوياتها ، قاصرة عن تأدية هذا الغرض ، الا لفئة قليلة جدا من الناس .. وهى ، حين تؤديه انما تؤديه فى حد ضيق جداً وذلك يرجع لسببين رئيسيين ، أولهما : ضيق نطاق الاصوات الذى تعمل فيه الموسيقى ، اذا ما قورن بالاصوات من الحركات التى هى موروث النفس البشرية فى منازلها المختلفة التى اوردنا اليها الاشارة آنفا .. وثانيهما هو أن الموسيقى لا تملك منهاجاً يقوم بترويض النفس البشرية ، وتدريجها ، حتى تستطيع ان ترتفق بالموسيقى الراقية فتحقق بسماعها قدراً من التنغيم الداخلى ،

والمواءمة ..

القــرآن هــو الموســيقى :

القــرآن المقروء ، والمحفوظ بين دفتى المصحف الشريف ، قــد حــوى جميع الاكوان القــديمة ، والحديثة .. وهــو هــو اللحن العلوى الكبير ، المنطلــق يرسم طريق صدور الانسان ، مــن منبعه ، وطــريق رجــوعه ، الى مصبه ــ الــذات الالهية ــ حواها ، وحــوى حــركاتها ، فلم يغادر منها شيئا .. قال تعالى ، فى الاشارة الى ذلك : « ووضع الكتاب ، فترى المجــرمين مشفقين مما فيه ، ويقــولون : يا ويلتنا !! مال هــذا الكتاب لا يغــادر صغيرة ، ولا كبيرة ، الا احصاها .. ووجــدوا ما عملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك احــداً .. » معلوم ، لــدى المعنى القــريب ، ان الكتاب المقصود هنا هــو كتاب اعمــال الافراد .. ولكــن ، لدى المعنى البعيد ، فــان الكتاب هــو القرآن .. وهــو لا يغادر صــغيرة ، ولا كبــيرة ، فى ذرات ، واجرام ، الاكوان الا احصاها ، قيداً وشــمولا .. وفى نفس هــذا المعنى يرد الحوار الــذى جرى بين فرعون وموسى : « قال فمن ربكما يا موسى * قال ربنا الــذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى * قال فما بال القرون الاولى * قال علمها عند ربى فى كتاب .. لا يضل ربى ولا ينسى .. » فان هــذا الكتاب انما هــو القرآن .. والقرآن انما رصد سير موجة الاكوان ، العلوية والسفلية ، وفى مقدمتها الانسان ــ رصدها بين الصدور والورود الى المنبع الذى منه صدرت ــ لأنه انما هو كتاب تسليك وهداية .. وفيــه يقول تعــالى : « وقلنا يا آدم اســكن أنت وزوجك الجنة ، وكلا منهــا رغداً حيث شئتما ، ولا تقربا هــذه الشجرة فتكونا مــن الظالمين * فازلهما الشيطان عنها ، فاخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا : اهبطوا !! بعضكم لبعض عــدو ، ولكم فى الارض مســتقر ، ومتاع ، الى حين * فتلقى آدم مــن ربه كلمات ، فتاب

عليه .. انه هـــو التواب الرحيم * قلنا اهبطـوا منها جميعاً !!
فاما يأتينكم منى هـدى ، فمن تبع هـداى فلا خوف عليهم ، ولا هم
يحزنون ...» هـــذه هى لمحة مـــن قصة اكتمال الخلقة ، واكتمال
التقويم ، « يا آدم أسكن انت وزوجك الجنـة ، وكلا منها رغداً حيث
شئتما » وهى قصة الخـروج فى طريق البعد « قلنا اهبطوا !! » ،
وهى قصة الصـراع فى موطن البعـد ، والاغتراب ، « بعضكم لبعض
عدو » وهى قصة أجـل الاغتراب ، فى موطن الاغتراب ، « ولكم فى
الارض مستقر ، ومتاع ، الى حين » .. ثم هى قصة الاذن بالعـودة
الى الوطن القديم « فتلقى آدم مـن ربه كلمـات ، فتاب عليه » ..
ومن باب التوبة ابتداء طريق العودة الى الوطن القديم «فاما يأتينكم منى
هـدى ، فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون » .. وهذا
الهدى انما هـو القرآن : « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » ..
ومعنى ما فى هـــذه الآيات الكـريمات هــو ما ورد فى قوله تعالى
فى سورة والتين : « لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم * ثم رددناه
أسفل سافلين * الا الذين آمنـوا ، وعملوا الصالحات ، فلهم أجـر
غير ممنون .. » ولا تتم الهداية ، فى طريق العودة بالقـرآن ، لجميع
الخلائق ، فى دار واحدة ، فان منهم مـن تبدأ هدايته فى الدار الدنيا ،
ومنهم مـن تبدأ هدايته فى الدار الاخرى .. وكلهم مصيره الى السير
السرمدى ـ علـى طريق الرجعى الى الله ، فانه ما مـن الله بد ..
« يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه » ..

لقد تحدثنا فى متن المحاضرة ، عن ان الاصل فى صناعة الأوتار التى
تنقل الالحان ، انما هى تجربة بخيط ، يثبت فى طرفيه ، ثم ينقر ليتذبذب
بكليته ، وترصد ذبذبته ، ثم يقسم الى نصفين ، وينقر كل نصف، ثم يقسم
الى أثلاث ، والى أرباع ، وهكذا .. وترصد ذبذبة كل جـزء .. هكذا
الشأن فى القـرآن ، فان الوتر الـذى يعـزف فيه لحنه مشـدود بين

طرفى الصـــــدور والورود ، وتتحرك فيه نقطـــــة ، تمثلها ، فى الوتر الموســـــيقى ، النقطـــة التى تقسم الخيـــط الى اثلاث ، وارباع ، واثمان •• الخ الخ •• فالطـــرفان المشدود بينهما وتر القـــرآن هما : الذات لدى الصدور (الحقيقة العبدية) ، والذات لدى الورود (الحقيقة الالهية) « ان مثل عيسى ، عند الله كمثل آدم ، خلقه مـــن تراب ، ثم قال له كن فيكون * الحـــق من ربك ، فلا تكن من الممترين •• » ثم بدأ تحرك الحـــق ، تنزلا مـــن الحقيقة ، فى منازل البعد ، منزلة ، منزلة ، فى سلم ســـباعى ، حتى نزل الحـــق منزلة اســـفل سافلين •• وهـــــذا التنزل ، فى طـــريق البعد ، هـــو ما وردت اليه الإشـــارة بقـــوله تعالى : « ثم رددناه أسفل سافلين » •• ومنزلة اسفل سافلين منزلة حـــق •• فما هى بمنزلة باطل ، الا فى حكم الشريعة •• والحق دائماً نسبى ، والحقيقة مطلقة •• والحق يتحرك يطلب الحقيقة ، وهو يدخل مداخلها كلما تخلص مـــن طـــرف الباطل الذى اقام عليه حكـــم الشرع •• ونحـــن ، لطـــرف التنزل مـــن المصـــدر الى منزلة اســـفل سافلين ، لا نعطى مجـــالا فى مقدمتنا هـــذه ، وانما نعطى كل اعتبارنا لطرف العودة الى المصدر من منزلة أسفل سافلين •• وانما ذلك لمكـــان الارادة البشرية فى هـــذا الطرف ، وانعدامها فى ذلـــك •• ولم تجىء الارادة البشرية فى طـــرف الورود ـــ السير فى مراقى القرب ـــ الا فى وقت متأخـــر ، ولكنها ، مـــع ذلك ، قـــد اعطت هـــــذا الطرف منزلة الشرف على طرف التنزل •• والموسيقى القرآنية التى تهمنا الآن ، انما هى معزوفة علـــى الوتر المشـــدود بين اسفل ســـافلين ، وبين الحقيقة الالهية ، فى أول نقطـــة الورود •• فى هـــــذا المضمار يـــرد الترقى بوسائل الشريعة ، ووسائل الطـــريقة ، ووسائل الحقيقة •• وهـــــذان الطـــرفان (الحقيقة الالهية ، واســـفل سافلين) نقيضان ، أو قـــل : ضدان ، أو قل : زوجان •• وكما ان الموســـــيقى حركة بين طرفين ،

تريد أن تملأ الفـــراغ بالنغم المنسجم ، المتسق ، فكـذلك العبادة ، هى محاولة لملء الفراغ بين طرفين بتحرك متسق ، ومهـــذب ، من الطـــرف الأدنى الى الطـــرف الاعلـــــى ، مـــن غير قفزات ، ولا نشـــوز ، ولا اضطراب •• وهــــذا وجه مـــن الشبه كبير بين اللحـــن الموسيقى ، فى الموسيقى ، واللحن الموسيقى ، فى حياة الحى ، العاقل ، السالك •• وانما جاء القرآن بموسيقاه التى ذكرناها ليرشد السالكين فى طــــريق عودتهم ، مـــن الاغتراب الى الوطن ـ مـــن البعد الى القـــرب ـ أو قل : من الادنى الى الاعلى ، أو قل : من الحيوانية الى الانسانية •• « الم * ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين •• » •• والضدان ، أو قـــل : الزوجان هما أصـــل الوجـــود الحادث « ومـــن كل شىء خلقنا زوجيـــن ، لعلكم تذكرون * ففـــــروا الى الله ، انى لكـــم منه نذير مبين » •• وانما خلق الله ، فى الوجود ، الزوجين •• لنفهم عنه نحن لأن عقـــولنا لا تميز الاشياء الا باضدادها •• فنحـــن لا نعرف الحلو الا بوجود المر ، ولا نعرف الخير الا بوجود الشر ، ولا نعـــرف الحياة الا بوجـــود الموت ، ولا نعـــرف النور الا بوجود الظلام •• فكل شىء قد خلق زوجين اثنين « سبحان الذى خلـــق الازواج كلها : مما تنبت الارض ، ومن انفسهم ، ومما لا يعلمون •• » وفى قمة الازواج : الله والانسان الكامل •• والى هـــــذا الاشارة بقوله تعـــالى : « ومما لا يعلمون » •• وفى سيرنا فى العوالم انما نحــــن سائرون الى الله ـ انما نحـــن مرتفعون مـــن الادنى الى الاعلى ـ نستمين ، فى سيرنا ، بالتمييز المســـتمر الـــذى تروض عقـــولنا عليه الازواج المختلفة ، فى الموجـــودات المختلفة ، اذ نحـــن مامورون بالسير من الموجـــودات الى الموجد ، ومن الاكوان الى المكون ، « ففـــروا الى الله ، انى لكم منه نـــذير مبين » •• وانما انزل الله القـــرآن ليعيننا علـــــى تسديد ،

وترشيد، فرارنا هـــذا، من كل ما سوى الله، الى الله ..

ولقـد استعمل القرآن فى موسيقاه الحرف، واستعمل الكلمة .. استعمل الكلمة فى دقة مـن المعانى معجز، وفى جمال مـن التركيب معجـز، وفى لحـن مـن النظم الفنى يبعث فى النفس الطـرب، والنشاط، والرغبة فى التكرار الـذى لا يمل .. ولم يستعمل القـرآن الحروف الا بعـد ان استنفد وسع الكلمات .. وهـو انمـا استعمل الحـروف ليخبرنا ان معانيه اكبر مـن ان تؤديها الكلمـات، مهما طوعت .. وتبدأ الحـروف، علـى ذلك، بعد ان تعجز الكلمات .. ولقـد استعمل القـرآن اربعة عشر حرفاً، من الحـروف الأبجـدية الثمانية والعشـرين، فى افتتاح تسـع وعشرين سـورة، علـى اربع عشرة تشكيلة .. ومعانى الحـروف عنده تتنزل فى ثـلاث مراتب: مرتبة الحـروف الرقمية، وهـذه هى الثمانية والعشرون حـرفاً المعروفة فى أبجدية اللغـة العربية .. وأعلـى منها مرتبة الحـروف الصوتية، وهـذه تتعلق بالأصوات .. والاصوات بدورها تتعلـق بالحـركات .. ولقـد قررنا ان جميع ذرات الوجـود فى حـركة لا تنقطع .. فهى اذن مصوتة، واصواتها لا تنقطع .. فنسبة الحروف الرقمية الى الحروف الصوتية كالقطرة الى المحيط .. ثم أوسع مـن هـذه، وتليها فى الرفاعـة، مرتبة الحـروف الفكرية .. وحـركة الفكر اسرع مـن حـركة المادة، فى الطف صورها ــ الضوء .. حركة الفكر اسرع مـن سرعة الضوء .. فالحروف الفكرية تكـاد فى سعتها تلحق بالاطلاق .. وهى، فى الحقيقة، تقف علـى عتبة الاطلاق .. فعندما يتناهى الفكر فى الحـركة يعجز عـن الحركة، ويتوقف .. وفى نقطة توقفه يبدأ الاطلاق .. وهـذه النقطة هى قمة ما توصـل اليه اشارة القرآن .. فالقـرآن، فى جملة ما تؤدى كلماته، وحروفه، ليس هـو عبارة عـن الذات، وانما هـو مجـرد اشارة الـى

الذات •• فالذات فوق العبارة ، وهى ، فى الحقيقة ، فوق الاشارة •• فغاية ما تؤدى اليه موسيقى القرآن هى توصيلنا الى عتبة الذات ، ثم تخلى بين حياتنا ، وبين الحياة السرمدية ، الخالدة ، التى لا تحيط بها العبارة ، وتقصر عنها حتى الاشارة •• (راجع الرسالة الثانية من الاسلام) ••

فقمة ما تؤدى اليه موسيقى القرآن اذن هو قمة ما تنتهى اليه الحروف الفكرية •• وانما تنتهى الحروف الفكرية الى حالة التوقف — الى حالة عجز الفكر عن التفكير — وذلك ما سمى ، عند الصوفية ، بحالة العجز عن الادراك ، وقد قالوا فيه : العجز عن الادراك ، ادراك •• وهو بعينه ما يعرف عندهم بحالة الحيرة •• وعن هذه الحالة يقول سلطان العاشقين ابن الفارض :—

زدنى بفرط الحسن فيك تحيرا ✻ وارحم حشى بلظى هواك تسعرا ••

وهذه الحالة هى حالة الوقوف على عتبة الذات •• وانما يحار الفكر فيها لانقطاع الضدية عنها •• فهى أحدية الصفة ، وترية الوجود •• وفى هذا المستوى يبلغ الفكر ذروة قوته ، واستحصاده •• ويبلغ القلب ، تبعاً لذلك ، قمة رحابته ، وسلامته •• ويبلغ الحى بهذين قمة حياة الفكر وحياة الشعور •• وهذه هى الحياة التى ينتهى اليها الترقى فى الصفات السبع ، التى هى صفات الهية ، وقد وردت الاشارة اليها فى أول المقدمة ، وهى : الحياة ، والعلم ، والارادة ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والكلام •• هذا باعتبار التنزل — باعتبار السير فى طريق البعد — أما باعتبار المعراج — باعتبار السير فى طريق الرجعى من البعد الى القرب ، ومن الاغتراب الى الوطن ، فهى تتصعد هكذا :— الكلام ، فالبصر ، فالسمع ، فالقدرة ، فالارادة ، فالعلم ، فالحياة •• وهذا هو اتجاه موسيقى القرآن الذى سقناه الى عتبة حيرة الفكر ••

أن الفكر لهو الاكسير الذي به تتسع الحياة ، وتتعمق •• وهو ، من اجل ذلك ، وظيفة القرآن الاولى •• ولقد قال تبارك وتعالى في ذلك « وما أرسلنا ، من قبلك ، الا رجالا ، نوحي اليهم ، فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون * بالبينات ، والزبر •• وانزلنا اليك الذكر ، لتبين للناس ما نزل اليهم •• ولعلهم يتفكرون » •• « وانزلنا اليك الذكر » يعني القرآن كله « لتبين للناس ما نزل اليهم » وهو القدر من القرآن الذي يطيقونه ، ويحتاجونه ، تبينه بالتشريع ، وبالتفسير •• « ولعلهم يتفكرون » يعني ان الغرض من ارسال الرسول ، ومن انزال القرآن ، ومن تبيينه بالتشريع وبالتفسير ، هو ان يتفكر الناس ، وان يقوى تفكيرهم بالرياضة ، وبالمرانة في العبادات •• ولقد افادت الآية السابقة لهذه نفس المعنى •• فكأنما جميع رسالات السماء ، وجميع كتب السماء ، مطوعة لترويض الفكر •• فالفكر هو خادم الحياة القوي ، الأمين •• ولقد سايرت موسيقى القرآن الفكر ، من لدن اسفل سافلين — من لدن بروز الانسان في المادة غير العضوية (ذرة غاز الهيدروجين) ، حتى بلغت هذه المادة غير العضوية مرتبة المادة العضوية ، ببروز حيوان الخلية الواحدة ، وما انفكت تسايره : وتتعهده ، وتمخضه ، من حياة الحي ، كما تمخض الزبدة من اللبن ، حتى بلغت به طور البشرية الحاضرة •• وهي لن تنفك تسايره ، وتتعهده ، وتروضه ، وتهذبه ، حتى تبلغ به مرتبة الانسان الكامل •• وهيهات !!

لقد قررنا ان موسيقى القرآن معزوفة على وتر مشدود بين طرفين ، وتتحرك فيه نقطة •• وقررنا ان هذين الطرفين هما : الباطل ، والحقيقة •• وقررنا أن الباطل ليس باطلا مطلقاً ، وانما هو ادنى منازل الحق •• وقررنا أيضا ان النقطة التي تتحرك انما هي الحق ، متطوراً نحو الحقيقة ، منطلقاً من ادنى منازله •• ونقرر هنا

ان هـــذه الهيئة انما هى هيئة الفكر •• فالفكر حـــركة بين طرفين ، هما : الذاكرة ، والخيال •• فكأنما الهيئة هيئة ثالوث ، علـــى الطرفين النقيضان ، ويتحـــرك بينهما متحـــرك هدفه التوحيد بين النقيضين ففى ذلك اكتماله ، واستواؤه •• فالفكر يبلغ اقـــوى ما يكون حين يستوى علـــى خـــط الاستواء بين هـــذين النقيضين ــ الذاكرة والخيال •• وعندما جعلت وظيفة القـــرآن ترويض هـــــذا الفكر ، وتهذيبه ؛ جعل خير ما فيـــه الكلمة « لا اله الا الله » •• ولقـــد جاءت لا اله الا الله بين النفى « لا » ، والاثبات « الا » ، فلكأنها تقرر أن الحـــق ، اقوى ما يكون الحـــق ، لا هـــو الى طـــرف النفى ، ولا هـــــو الى طـــرف الاثبات ، وانما هـــو « بين بين » •• ونقطة « البين بين » هى نقطة الاستقامة التى قال عنهـــا المعصوم ــ « شيبتنى هود واخواتها » ، وذلك فى قوله تبارك وتعـــالى من سورة هود « فاستقم ، كما امرت ، ومـــن تاب معـــك ، ولا تطغوا •• انه بما تعملون بصـــــير » •• ففى تحقيق الاستقامة تدريج الفكر ، وتهـــذيبه ، وتقويته ، وتحييده عــــن الميل لأى مــــن الطـــرفين اللذين يتجـــاذبانه •• وهـــذه هى وظيفـــة تحقيـــق التوحيد ، بكلمة التوحيد « لا اله الا الله » •• وانما مــــن اجل تحقيقها جاءت عبادات الاســـلام ، وعاداته •• جاءت الصـــــلاة بحضرتيها ــ حضرة الاحـــــرام ، وحضرة الســلام ــ ولقـــد فرضـــت الصـــلاة فـــوق السموات السبع •• وجعلت حـــركات الركعة ســـبع حـــركات •• وجعل السجود ، الذى هـــو قمة حـــركات الصلاة ، علـــى سبعة عظام ، مــــن عظام الجسد •• فهـــــذه الحركات « السباعية » هى بسبيل مـــن منازل الحـــركات السبع ، التى اكثرنا ذكرها فى حديثنا فى هــــذه المقدمة ، حتى لقـــــد تحـــدثنا عــــن السلم السباعى فى الموسيقى ••

وبمناسبة سلم الموسيقى السباعى ، فان حركة الفكر أيضا تسير فى

سلم سباعى •• لقــــد سبق ان قررنا ان الفكــر يتحرك بين طرفين ، هما : الذاكرة ، والخيال •• ونحـــن لا نخرج عـــن هـــذا المعنى اذا قررنا أن هـــذين الطرفين ، هما : الماضى ، والمستقبل •• تجولان الفكر بين طــرفى الذاكرة (الماضى) والخيال « المستقبل » يعرف على سلم سباعى ، هـــذا السلم السباعى يعــرف عنــد السادة الصــوفية بمراتب النفوس السبع •• وهى : النفس الأمــارة ، والنفس اللوامة ، والنفس الملهمـــة ، والنفس المطمئنــة ، والنفس الراضيــة ، والنفس المرضية ، والنفس الكاملة •• ومراتب النفوس هـــذه انما هى طبقات العقل ، وهى هى طبقات النفس ، فى عين الوقت •• فالاطــراف اللطيفة مـــن مراتب النفوس هى مراتب عقــول •• لذا ما الفــرق بين العقــل والنفس الا الفــرق بين الارادة والشهوة •• فللعقــل الارادة ، وهى مسيطرة ، وللنفس الشهوة ، وهى مقهورة ، ومروضة ، عنــد العقــلاء العارفين •• فالعارف لا يتحرك عن شهوة ، وانما يتحرك عن ارادة ••

وجولان الفكر بين الماضى والمستقبل انما يبتغى ان يعيش صاحبه فى اللحظــة الحاضرة ، لان اللحظــة الحاضرة هى وحــــدها الزمــن الحقيقى •• والــذى يعيش فيها وحـده هـــو الذى يحيــا الحياة الكاملة ، الخــالدة •• هل تدرون لماذا نجــد المتعة فى الفنون ؟؟ لانهــا تريح فكــرنا مـــن الذبذبة بين المــاضى والمستقبل ، وتتيح لنا فرصة العيش فى اللحظة الحــاضرة •• هـــذه خاصــية فى جميع الفنون ، تتفاوت فيها بضروبها المختلفة ، مــع الاشخاص المختلفين •• فانت اذا سمعت قطعة موسيقية راقية ، أو شهدت فيلما سينمائيا جيد الموضوع ، متقن الأداء ، فانك تظل مشدوداً الى الشاشة مثلا ، منحصراً فى تسلسل صور الممثلين ، ومنشغلا بادائهم ، بجمعية لا تبقى لك فرصة للتوزع بين المــاضى والمستقبل ، حتى لكأن الزمن قــد توقف ، فى حقــك ، فى تلك اللحظة التى تعيشها ، وهى لحظة تكاد أن تكـــون خــارج الزمان ••

الانتصار علـــى الزمن الــذى تحققه لنا الفنون الجميلة هـــو أس سعادتنا بها ، ومن ثم هـــو أصل تعلقنا بها •• هـــذا الانتصار على الزمن هـــو الحكمة فى مشروعية الصلاة ، التى هى أعلى العبادات•• ولقــد قررنا انها فرضت من فوق السموات السبع •• ونقرر هنا انهــا فرضــت فى موضعين ، على مستويين •• فاما الصــلاة الفرعية ، وهى المعــروفة بالصلاة الشــرعية ، فقــد فرضت فى موضع مقــام قــاب قوســين أو ادنى : « ثــم دنا فتــدلى * فكــان قاب قوســين أو أدنى » •• وهــذا مقام شفعية ــ شفع جبريل فيــه النبى •• وهى ، لمكان الشفعية هـــذه ، قد جاءت مرهونة بمواقيت : « ان الصلاة كانت علـــى المؤمنين كتاباً موقوتا » ، يعنى « فرضاً » له أوقات يــؤدى فيها •• وأما الصلاة الأصلية فقــد فرضت فى موضع مقام مازاغ البصر وما طغى : « اذ يغشى السدرة ما يغشى * مازاغ البصر وما طغى » ، وهـــذا مقام وترية •• تمت الوترية فيــه للنبى بتخلف واسطته عنه ــ جبريل ــ اذ ليس لــه ههنا مقام •• وانما دل علـــى وترية هذا المقــام وصف الله حــال النبى فيــه بقوله تبارك مــن قائل : « مازاغ البصر وماطغى » •• و « البصر » ههنا « الفكر » •• و (مازاغ) يعنى ما انشغل بالمــاضى •• «وما طغى» يعنى ما انشغل بالمستقبل ، وانما توقف فى لحظته الحاضرة •• فكأن النبى قــد توحد ههنا ، حتى لقــد اصبح وحدة ذاتية ، فى وحدة مكانية ، فى وحدة زمانية •• وتدق هاتان الوحدتان حتى انهما لتخرجان عـــن المكان والزمان •• ومـــن ههنا فقــد تمت لــه رؤية مــن لا يحويه المكان ولا الــزمان •• ولمــا كانت هــذه الصلاة فى مقام الوترية فانها ليست مرهــونة بميقات •• وانما مواقيتها الانفاس الصاعدة والهابطة •• ولقــد قال النبى عـــن الصلاة الفرعية : « الصلاة معراج العبد الى ربه » •• وعــن الصلاة الاصلية : « الصلاة صلة بين العبد وربه » •• فجعلت الصلاة الشرعية

سلماً يرقى باتقــانه المصلى الى مرتبة الصلة ، حتى يكــون فى حضرة دائمة مــع ربه •• راجع (رسالة الصلاة) و « تعلموا كيف تصلون »

معلوم أن الصـــلاة الشرعية تبــدأ بداية هى مــن البساطة بحيث يطيق أداءها باحسان اقل الناس ذكاء •• وهــــذه الصلاة تشكل قاعدة الهرم الذى قمته فى صلاة الصلة •• فاذا وضح ان الصلاة هى موسيقى القــرآن ــ ولقــد حاولنا توضيح ذلك فى مقدمتنا هــذه ــ فان هــذه الموسيقى ، اذا ما قــورنت بالموسيقى المعــروفة لدينا فى الفنون ، فان المقارنه لا تنهض ، وتنقطع ، مــن جميع الوجــوه •• والانشغال بها ، وبضروب الفنون الاخرى ، بخاصة للمبتدئين ، انشغال بخلاف الأولى ، وتقــديم للمفضول علــى الفاضل ، ومضـــيعة للوقت فى غــير وجه حكيــم •• وهــذا ما مــن اجله حــرمت الفنون فى الاســـلام ، فى المرحلة •• أما للمنتهين المستوين علــى الجــادة فى نهايات السلوك ، فانها غــير محرمة ، علــى النحو الذى بينا ، فى متن المحاضرة •• ذلك لأن المستوين علــى الجادة مــن اصحاب النهايات يعرفون كيف يعطون كل مقام مقاله ، وكيف يرتفقون بجميع الاحياء والأشــياء فى السير الى الله •• والى هؤلاء تقدمنا باهداء هــذا الكتاب ، ولقد قلنا فى صــيغة الاهــداء :ــ

الى المتفتحين علــى الله ،
السالكين اليــه كل السبل ،
فانه ان مــن شىء الا وهو
الى الله ســـبيل !!
« وان من شىء الا يسبح بحمده ،
ولكن لا تفقهون تسبيحهم •• »

وأما المبتدئون فانا ندعوهم الى أن يعبــدوا بــذكاء ، مبتدئين من الصلاة الفرعية ــ صلاة المعراج ــ الصلاة الشرعية المعروفة ــ سائرين

فى تقليد المعصوم باتقان ، وبذهن مفتوح ، فى سنة عبادته ، وفيما يطبقون من سنة عادته •• انهم ، ان يفعلوا ذلك ، يرتقوا ، كل يوم جديد ، درجة جديدة من درجات القرب من الذات العلية ، ويتهيئوا ليسمعوا تسبيح المسبحين بحمد رب العالمين ••

أما بعد فان هذه المقدمة قد طالت ، وانا لنجد مجال القول فيها ذا سعة •• ولكن المجال ، والزمن ، لا يسعفان •• فلنقبض عنان القلم •• ولنضرع الى الله أن يهدينا ، وأن يهدى بنا ، وأن يعلمنا ، وأن يعلم بنا •• انه نعم المولى ونعم النصير ••

بســـم الله الرحمـــن الرحيـــم

متـــن المحـــاضرة

نبدأ حديثنا عن : « الفنون والاسلام » ، أو . « الفنون فى نظر الاســلام » •• ولابد مــن الاشارة الى المقدمة الطيبة ، البليغة ، التى تكــرم بها السيد رئيس الجلسة •• فهى فاتحة خير ، أن شــاء الله ، لحديث نرجو ان يرفــع نظر الناس لمــا تدخره لهم السماء مــن سعة فى حياة الفكر ، وسعة فى حياة الشعور •• وما مــن شك أن الحــديث عــن الفنون يفتح هــذه السعة ، فى الفكر ، وفى الشعور ـ يفتح باب الفكر علــى مصراعيه •• وخاصة اذا ما قرنت الفنون بفيض الســماء ، فى القرآن ، وفى الاسلام •• ولذلك فقد كنت سعيداً جداً ، لأجد هــذه الفرصة ، لا تحدث لهــذا المستوى مــن المستمعين ، فى موضوع هــو أصل ما قام عليه الفكــر ، وما قامت عليه الحياة ، فى مدى ما عــرف الانسان الفكر والحياة ••

مــا هى الفنون ؟

والفنون هى عبارة عــن وسائل التعبير عــن ملكــة التعبــير فى الانسان •• وملكة التعبير فى الانسان أعمــق مــــن مجرد انهــا عمل فكــرى ، هى فى الحقيقة الحيــاة •• ملكة التعبير فى الانســـان هى الحياة •• وكل حى معبر ، حتى فى حيواته الدنيا •• وتعبيره بالحيــاة فى الحياة ، هــــو حياته نفسها •• الحى عندما ياكــل ، الحى عنــدما يتناسل ، الحى عندما يفر مــن الالم ، ويحاول تحصيل اللذة ، هـــو فى كل أولئك معبر •• هــو معبر فى حياته بحياته ـ هو كليته تعبير •• ثم نحــن ، بطبيعة الحــال ، لا نطلق عبــارات الفنون على الحياة فى درجاتها الدنيا ، حيث تعبر بكينونتها كلها ، وانما نطلق عبارات الفنون علــى وسائل التعبير ، عــن ملكــة التعبير ، فى الفكر ـ فى الــذهن

البشري •• الانسان يمكن ان يرى ان ارتفاع الانسان ، فى سلم الفكر ، عن الحيوات التي دونه ، من الحيوات العليا ، انما هو ارتفاع مقدار ، وليس ارتفاع نوع •• الانسان ، فدرجات ، واطوار ، تعبيره عن وجوده ، عندما تغشته الحيوات السفلي ، كان يعبر بلسان حاله ، زى ما دايما يقال فى التصوف ، فى عبارة بالمقال ، وفى عبارة بالحال •• فالحى ، قبل أن يكون عنده عبارة باللسان ، وهو ما امتاز بيهو الانسان فيما بعد ، بيسمى معبر بلسان حاله •• بعدين ظهر الانسان ، واصبح منقسم ، بين التعبير بلسان الحال ، وهو التعبير القديم ، الذى ورثه عن الحياة الدنيا ، وبين المنصر الذى جد بظهوره ، وهو التعبير بلسان المقال •• وفى المستوى دا الفنون خدمتها كبيرة لى آخر درجة للانسان •• الغرض منها ان ترتفع بعقله ، تفتق عقله ، تزيد من حيله ، وتضبط تفكيره ، تدقق تفكيره ، تفتح مجال تخيله ، وعاطفته الى الحد الممكن يرتفع بيه عقله حتى يكون تعبيره بلسان المقال فى مساواة تعبيره بلسان الحال ، الكان قبيل فى بدنه •• نحن باستمرار عقلنا بينمو •• عقل احدنا وجسده كانما فى كفتى ميزان •• نحن فى وضعنا ، اجسادنا عارفة •• دى نقطة افتكر كثيرا ما تجهل •• الاجساد عارفة ، الاجساد لا تخطىء ، ولكن تخطىء العقول •• نحن ، بوسائل التعبير والتمرين ، عاوزين نرفع عقولنا الى درجة الانضباط ، الذى به لا تخطىء ، حتى لكأننا بنحاول أن نوزن كفتى الميزان ، كفة اجسادنا مع كفة عقولنا •• اذا استطعت انت ان ترى ان كفة واحدة شايلة ، والكفة الثانية نازلة •• ولكن باستمرار عقولنا بتنمو ، حتى اذا استقام الميزان بالقسط ، تبقى عقولنا لا تخطىء ، كما ان اجسادنا لا تخطىء • عبارة ان :الاجساد لاتخطىء ، انا افتكر بتحتاج الى شىء من الشرح الزائد •• لكنى لا انوى ان اشرحها فى المقدمة •• باتركها للنقاش ، فيما بعد •• لكن

أوكد لكم انها نقطة مجهولة تماماً ••

الصـــــورة أصـــل الفنـــون

الفنون كثيرة ، ما نعرف منها ، وما سنعرف ، كل مرة ، كثيرة — الكلمة فى الشعر ، أو النثر ، الصورة بالفوتوغـرافيا ، أو باليـد ، الموسـيقى ، النحت ، الرسـم •• الكلمـة عندما قلناها تجىء فيهـا الغناء ، وتجىء فيها المسائل البتدخل فيهـو •• لكـن كثيرة ، ويمكـن للانسان أن يقـول : الاصل فيها كلهـا الصورة •• الاصـل فى الفنون الصورة • ويمكن أن اقول : انو الصورة — الرسـم — يمكن أن يكون أبو الفنون كلها •• جائز ، فى نفس الوقت ، نشأت الموسيقى •• ما من شـك انو قبل ما تتطـور الموسـيقى ، بفنونها المختلفـة ، وعلميتها ، ودقتها ، كانت نشـأتها بدائية ، كبدائية نشـأة الصورة ، والرسم •• الصورة هى فى الحقيقه قيمتها فى الفهـم ، وفى الادراك ، اكبر من قيمة الموسـيقى ، واكبر مـن قيمة الشـعر ، والنثر ، والمسائل الأخـرى المشاكلة لهـا •• والصورة انما عرفها الانسان والفها مـن الاحلام •• الاحلام صور •• انت لمـا تحلم حلمه بتشوف صور متحركة •• الصور دى ، عند التأويل ، تنقلب الى معانى • من بدرى الصورة ، فى الحلم ، صحبت الانسان •• لعله مـن مجرد ما بدأ يكون انسان ، وينقسم •• الحيوان ينام ، ولكنه ما بيحلم •• والانسـان ينام ولكنه بيحلم • مافى عبرة بأنو ما بتذكر الحلم ، عندما يصـحى ، فانه ، وان اصبح ناسى ، هـو بيحلم •• لكـن فى احلام بيذكرها ، وفى احـلام بينساها •• فى احلام صامية ، وفى احلام مشوشـة ، ومخلوطة •• ولكن ، مهما كان الامـر فان الصورة قـد كانت أول اسـلوب تعليم واسـلوب تعبـير للانسان •• لعلنا ، نحـن البشر ، اتعلمنا عـن الدين ، وعـن الحياة

الاخرى ، مـن الصـور ، ومـن الاحلام •• وبكل بساطة ، الانسـان الاول لمـا كان بيرى أن أبوه المـات ، بيراه بيعمل فى عمـل زى العمل الكان بيمارسه فى حياته ، شـايل طوريته يزرع ، أو شـايل حـربته يصـيد ، أو بيعمل عمـل فى بناء بيت ، صـور زى دى أعطتنا الفهم الاولانى عـن الحياة الاخـرى •• ثم توكد هـــذا الفهم حتى جاء الوقت الذى اصبح الناس فيه متأكدين من الحياة دى ـ متأكدين حتى انهم كل ما يحتاج اليـه الانسـان فى حياته يدفنوه معـاهو عنـدما يموت •• الصور دى ، هى المستمرة لغاية الوقت الحاضر ، فيما نصور نحـن الاشياء •• والمعـانى المجـردة ما هى معـانى مجردة ، الا لأن ادراكنا ليهـا قاصر ، ورؤيتنا لصورها عاجزة •• العقل القوى بيدرك المعنى المجـرد كأنما هـــو صورة مجسدة •• النشأة دى اذاً نشـأة قديمة جداً ، صحبت الانقسام الاولانى ، بين العقل الواعى ، والعقـل الباطن •• الاحـلام عبارة عـن محاولة العقـل الباطن ـ الذى هو ، بايجاز ، الجسد القبيل قلنا عنه ما بيخطئ •• الجسد وقع عليه كبت ، فى معنى ما وقعت سـيطرة العقل علـــى الشهوة عنـدما دخل الانسان مرحلة الانسانية •• الكبت دا عنـدما يرفع ـ الكبت البمارسه العقـل الواعى علـى العقـل الباطن (العقل علـى الجسد) ـ عندما يرفـع بالنوم ، العقل الباطن (الجسد) بيحاول أن يعبر عـن وجوده بالصور البنسميها نحـن الاحلام •• اذا كان الانسان شاف فى الاحلام الصور بالصورة دى ، يمكنـك ان تـدرك ، بصورة واضـحة ، أن الرسم ـ التصوير تابع ليهو ـ هو أصل الفنون •• وبمجرد من ان الانسان عرف كيف يعبر ، كان التعبير بالصوت ، وبالاشارة ، وبالصورة ، ومما لا شك فيه ان الانسان الأولانى كـان ، فى اغلب الاحيان ، بيرسم الحيـوان البيصيده ، وكان فى فكرة ، ان رسـم الحيوان البيصيده يعطيه قـوة روحية وسحرية تعينه عليه •• الحيوان الانت رسمته دا ، أن كان رسمته

فى الارض ، أو فى جدار الكهف ، انت بتصيده •• ويمكـن للانسان أن يقـول ــ ودا على التحقيق ــ ان الحروف الأبجدية التى نحـن ، فيما بعد ، أخذنا نكون منها الكلمة ، هى صورة مـن تطوير هـذا الرسـم الأولانى •• يعنى انت اذا كنت عاوز تعبر لى أنا عن تور ، بترسم لى التور •• ما فى عبرة ، بطبيعة الحال ، بأن الرسم دا دقيق أو ما دقيق، لكن المهم انى أنا بفهم عنك ما تريده •• بعض الناس بجيدوا الرسم ، وبعضهم ما بجيدوه ، لكن ، على كـل حال ، العبارة بتجىء •• قليل ، قليل ، تمشى العبارة ، وتتطور ، وبدل انت ما ترسم التور كله ، يمكنك أن ترسـم رأسه والقرنين ، وأنا افهـم عنك •• ما فى داعى لرسـم باقى الجسم ••

المـوسـيقى :

تطـويراً مـن الصور جات الحـروف •• الحروف الابجـدية ، فى كل لغـة من اللغات ، هى تطـوير لصور كـان الانسان بيخططها ، وبيرسـمها فى الاول •• اذن الرسم ، هـو بالصورة دى ، أول الفنون وأهمها •• تجىء مسألة الموسيقى •• الموسيقى برضـها قديمة •• هى قديمة ، قدم الصورة لانها الحركة •• الموسيقى هى الحركة التى بها برز الوجـود •• مـن دى جات موسيقى الصوت الموقـع وموسـيقى الآلات ، ومشينا نحـن فيها نطورها لى قدام •• فالوجـود دائما فى ثنائية ، بالصورة دى ال نحن شايفنها •• مثـلا ، الليل بيعقبه النهار ، فهما نغمتان ، مثلا ، نحن بنمشى على رجلين ، بالصورة البنمشى بيها ، كـأنما هما نغمتان •• كذلك ضـربات قلوبنا ، هما نغمتان •• بمـدين الانسان لما تقدم لى قدام ، حاول ان يملأ بالنغم المحسوب ، الهادىء ، المسافة ما بين هاتين النغمتين •• قل ان شئت حاول الانسان بطـريقة علمية ، وحسابية ، أن ينتقل بين النغمتين الاولى ، والثانية ، انتقـالا

هادئا ، منسجماً ، منغماً ، من غير شذوذ ، ولا نشاز •• وهذا ما سمى بالسلم الموسيقى • فالسلم الموسيقى قد توصل اليه بأخذ خيط يشد أوله من هنا ، واخره من هناك ثم يضرب ضرباً خفيفاً وتقاس ذبذبته ، ثم يقسم نصفين ، وبعدين يضرب بضرباً خفيفاً ، ويشوفوا الذبذبة بتاعته وتقاس ، ثم يقسم الى أثلاث ، وأرباع ، ثم تقاس الذبذبة وهكذا •• السلم الموسيقى جاء من حاجة زى دى •• وكذلك ملئت الفرقة بين النغمتين الكبيرتين •• زى دى ضربة قلبك الاولانية والثانية •• الفرقة دى تملأ بنغمات هادئة ومورونة تصعد علي السلم الموسيقى السليم •• ولذلك الموسيقى عريقة بالصورة اللى يمكن للانسان أن يقول انها تضارع الرسم ، لكن ادراكها جاء متأخر اكثر •• اذا جينا نحن للنحت برضو قديم •• الغناء قديم ••

الفنون والاديان :

لكن يمكن للانسان ان يقول : أنه ما من فن من الفنون ، الا ونشأ فى معابد الدين •• أصلو ما عرف دين ، ما فيهو موسيقى •• يجوز مسألة الرسم ، والنحت ، فى بعض الاديان ما فى •• **لكن الموسيقى ،** بصورها المختلفة ، ما عرف دين ما عندو ، حتى ولو كان الايقاع البكون بالطبل ، أو بكون بالطار ، أو بكون بالنوبة ، الى ان يجىء « للاورقن » بتاع الكنيسة ، بالصور المختلفة فيه •• لكن ما من شك فى ان الصلة كبيرة بين الفنون وبين الاديان •• والسبب فى علاقة الفنون بالاديان ، هو ان الأديان تعبير ، زى ما قلنا قبيل •• الملكه الفينا ، عاوزة التعبير **هى الحياة ••**

نشأة الأديان :

الاديان نشأت من تجاوبنا مع البيئة •• الانسان الاول عندما شاف البيئة الحوله ، والقوة الهائلة الفيها ، استطاع ، بذكائه الفطرى البسيط ، أن يرى انو القوة فى البيئة المحيطة بيهو ، يمكن تقسيمها الى قسمين :ـ

فى قـــوة هائلة ، رهيبة ، كبيرة ، شـــــعر مـــن الاول انو ما عنـــدو بيها قدرة •• وفى قوة بسيطة ، مثل الحيوان المفترس ، أو العدو •• المشاكل البتقع فى المستوى دا هـدته الى أن يتفنن فى الحيل لمواجهتها ومقاتلتها •• وكذلك فعل ••وا ما القوى الهائلة. فقد حاول ان يوجد نوع مـــن الموافقة بينه وبينها •• حاول أن يوجد نوع مـــن الصـــداقة •• حاوليتملقها •• حـــاول يعبدها •• دى كلهـــا صور مـــن الحيلة وعنها نشأت العبادة •• نشأت العبادة نشأة ســـاذجة •• الواحـــد يحب ان يقـــول ، ودى نقطه بتحتاج لتوكيد ، أنو الانبياء ما جو ليقولوا لينا ، « الله فى » •• لـــى دى نحـــن مـــا محتاجين •• نحـــن البشر ، ما محتاجين لان يورونا أنه هناك قـــوة هائله نحـــن بازائها قاصرين ، وعـــن منـــازلتها عاجـــزين ، وأن مـــن الواجب ان نوجـــد نوع مـــن المصالحة معها •• ســـميها ما شـــئت •• ما مـــن شك اننا نحـــن ما سميناها بالصور المجـــردة مـــن الاسماء التوحيدية •• الرسل جـــو لى دى •• الرسل جو ليعرفونا صفات الله ، واسماءه ، لكن ، للشعور به ، فقـــد وجدوا الاستعداد عنـــدنا مركوز فى فطرتنا •• اننا بنعرفه بمعنى اننا بنحس بيهو ، لكـــن صفاته ، واسماؤه ، وافعـــاله ، لكـــن المعـــانى المجـــــردة فيها ، البتخرجنا مـــن التجسيد فى العبـــادة الى التجـــريد ، دا هـــــو ما مـــــن اجله جاء الرسل • فلـــذلك الانسان الذكى ، والعـــارف ، يشعر بان الدين نشأ نشأة فطرية ، وفى الارض ، وسابق للرسل •• ولعـــل الرسل السابقين للاديان هم رسل العقـــول ، مش رسل البشر •• العقـــول دى أدركنا بيها وجـــود الله ادراكـــات ســـاذجة ، وبدائية •• هنا عبرنا عـــن مخاوفنا بازاء القوة الهائلة ، فكان الـــدين •• ومن اجـــل دا العـــلاقة الكبـــيرة بين ملكة التعبير ، وبين الدين ، وبين استخدام الدين لوسائل التعبير المختلفة فىالفنون •• قررنا ان الموسيقى كانت نشـأتها قديمة جدا •• ونقرر هنا عـــن النحت

برضـــو •• الناس كانوا بينحتو الاله كأصـــنام ، مـــن بدرى خالص ، قبل ما يجىء اساتذة الفنون ، مـــن اليونان ، ومـــن الرومان ، ومـــن غيرهم ••

النحـــت والعبـــادات :

النحت الساذج كـــان محاولة لتجسيد ما يتصوره الانسان عـــن الله •• ودايماً الانسان بيتصور الوجود فى صورته ، حتى الله ، نحن بنصوره فى صورتنا •• وكذلك حكمته الالهية جات علـــى السنة الرسل لتعطيه صـــفات زى صـــفاتنا ، فلو لا أن الصفات مشتركة بيننا وبينه ، ما بنعرفه •• فى الغالب الأعم ، يمكنك أن تطلق المسألة دى ، ان النحت كان قد نشأ لنجسد بيه الصورة البنعبدها نحـــن ، فى حيز نقدر نحيط بيهو ، ونعرفه ، وندركه ، ودا ما سمى بالأصنام •• وما فى عبادة من العبادات الا ونشـــأ التجسيد فى معابدها ، النحت والفنون الاخرى •• الواحد يمكن أن يقـــول انها كلها فى البداية وجـــدت ملكاتها الأولى ، ثم تطـــورت ، بصور مختلفة ، فيما بعـــد ••

الحيـــاة والفنـــون والجمـــال :

اذا كان قلنـــا : الفنون هى وســـيلة التعبير عـــن ملكة التعبير فينا ، يبقى ملكة التعبير دى عاوزة شـــنو ؟؟ ملكـــة التعبير (الحياة) عاوزة أن يكـــون فى تنغيم للحيـــاة ، عاوزة أن تكســـر ، وتطـــامن ، الشذوذ ، والنشوز ، الفى الحياة ، عـــاوزة تناســـق ، عـــاوزة جمال ، ان شئت •• لانه ، فى الجمـــال ، النفس البشرية بتجـــد طمأنينتها ، بتجـــد راحتها ، بتجـــد خروجها مـــن شذوذ المغـــامرة ، والمخـــاطرة ، والمفاجأة •• يعنى النغم الموســـيقى المنســـجم يريـــح انفســـنا لانو بيوحـــد ، فى الـــداخل ، طمأنينة تخـــرج مسألة الانزعـــاج البيجىء بالاصـــوات الصـــاخبة ، المفـــاجئة ، النشـــاز ، زى مـــا بنسميها •• كـــل

صورة فنية من صور التعبير محاولتها هي أن توجد الجمال ••

الفنون بشتى وسائلها ، وطرقها ، محاولتها انما هي أن توجد الجمال •• اذا كان الانسان سأل عن الجمال : هو شنو ؟؟

ما هو الجمال :

اذا كان قلت : ان الجمال هو التناسق ، مثلا ، فانت على حق ، ولكن ما كل الحق •• أنا أحب أن أقترح حاجة هى فى البداية فى الموضوع ، اقترح ان الجمال هو العدل الانسانى •• العدل الانسانى يمكنك ان تقول عليهو جمال •• زيد عن العدل الانسانى •• تعال فى المحبة الانسانية ، المعيشة مع الناس فى سلام ــ السلام •• أنا أحب أن اقدم ليكم النقطة دى لتكون هى نقطة اعتبار • ما من شك أنا عندى أن الجمال هو السلام •• بعدين نحن ما بنصل للسلام مع الآخرين الا اذا كنا فى سلام مع أنفسنا •• السلام مع انفسنا معناهو اخراج النشاز القائم فى البنية البشرية •• البنية البشرية مقسومة •• القسمة الأولانية ، القبيل قلناها •• ولولا أن الانسان انقسم ، لما اترقى ، فى المكان الاول •• الحيوان ما منقسم ، الطفل ما منقسم ، الا بما ورث • لكن ، فى عمره البيعيشه فى بداية حياته ، ما منقسم ، لكنو وارث للانقسام ، وبيعيش فى المجتمع البيقسمه ، ماشى لينقسم • فلولا أن الانسان انقسم لما سرقى ، ولما كمل •• انقسامه بيمثل انو عندو رغائبه الأولانية البسترسل فيها كحيوان ، ما بيقيف عند حد •• ما فى ضابط ، الا تحصيل اللذة ، والفرار من الألم •• واستمر الاندفاع دا ، ولكنه عندما جاء الانسان ليكون بيعيش فى مجتمع ، وجاء العرف ، وجاء القانون ، وجاء الحلال والحرام ، اللى نحن نوشك أن ندخل فى الكلام عنو ، فيما سنتحدث عن الاسلام ، لما جاء الحلال والحرام ،

أو قل ، ان اردت الدقة ، لمـا جاء العــرف الأولانى (يمكن دا تجوز كتير فى استعمال الكلمة ، لما نحن نبدأ فى البدايات) ، لكن مجرد أن يكون فى عــرف يقول انو دا يعمل ، ودا ما يعمل ، بـدأت الشخصية البشرية تنقسم ، بمعنى انو انت اصبحت فى حاجة تضبط اندفاعاتك الأولانية ، الكانت قبيل عندك مندفعة بدون ضابط ٠٠ رغائبك كلها مـا فى استعداد لان تستجاب ٠٠ المجتمع عاوز حاجات مـا تعمل ٠٠ انت احـد رجلين بتكـون ٠٠ الفرد كان فى الوضــع دا احد رجلين : اما رجـل استرسل ليمضى لبانته ، زى ما كانت ، وبطبيعة الحـان ، بتقع عليهو العقوبة البتقع ، وهى قـد كانت عقوبة صارمة جداً فى المجتمعات البدائية ٠٠ أو رجل يكون عندو مقدرة علــى أن يضبط نفسه ٠٠ كانت العقـوبات العمل فى المجتمعات الماضـية جلها مـن شريعة التحريم والتحليل ٠٠ العقوبات التى لا تزال عندنا الآن ٠٠ هـذه العقوبات الغرض منها أن تقـوى الارادة البشرية البتسيرك وفق ما يجب ٠٠ ومـن هنا جـاء الانقسام ٠٠ والانقسام دا مرحلة ٠٠ لـولا أن الانقسام جاء ، لمـا ترقى الانسان ٠٠ اذا لم يزل الانقسام ، لا يكمل الانسان ٠٠ فنحـن اذن بنترقى فى مرحلتين : المرحلـة الأولانية هى الانقسام ، والمرحلـة الثانية هى ضم الانقسام ، وتوحيد البنية البشرية الانقسمت ٠٠

الى حـد كبير ، الفنون فى التعبيرات المختلفة ، فى ابراز الجمال ، وقيم الجمال ، فى تنغيم حياتنا الداخلية ، وحياتنا الخارجية ، غـرضها ان يكـون الانسان مـع المجتمع انسان محب للقانون ، انسان منظم ، انسان عندو سـيطرة علــى اندفاعاته ، وعلـى نفسه ، انسان يملك أن يسير بسفينته وسـط الانواء فى الجمـاعة ٠٠ وهناك نوعان مـن التنغيم : تنغيم الفرد مـع الجماعة ٠٠ وتنغيم الفرد مع نفسه ٠ نحـن بنحاول أن نطور الجماعة لتكون راقية ، حتى انك لمجـرد تنغيمك نفسك معها ، وانسجامك فيها ، وتوائمك معاها ، تكون انت اترقيت ٠٠ ثم لابد

لك مـن المحاوله الفردية فى أن توجد التنغيم الداخلى بين انقسامك ، لاننا نحـن لما انقسمنا قامت فينا قـوة ضد قـوة ـ قوة العقـل الواعى (الارادة) ضـد الفطـرة الأولانية « الشهوة » العاوزة تحصـل لذتهـا بكل سـبيل •• نحـن عاوزين نوجـد التنغيم دا بيناتن •• يمكنك أن تقول : فى نغمتين نحـن عاوزين نملأ الفـراغ بيناتن •• زى ما قلت ليكم عـن المـوسيقى ، عـن التعبير الفنى كله •• بالصور دى نوجد السلام الداخلى •• بالسلام الداخلى يجىء السلام الخارجى •• اذا كان الامر بالصورة دى ، فانى محـق اذ قلت ان العدل هـو الجمال ، وردت علـى المسألة دى وقلت الخلق ، وزدت وقلت المعيشة فى سلام •• السلام هـو الجمال •• أنا افتكر انو دا قمة ما نحـاول نحـن أن نعبر عنـو •• حتى التناسق فى اعضـاء الجسد اللى انت بتنحته ، دا يمكنك أن تسـميه عـدل ، اذا شئت •• اذا زدت عليهو ، فهى تبقى مسأله اعطاء كل عضو مكانته مـن الضبط ، والنسبية ، والدقة ، والقـوة ، حتى لكأنك بتوجد جسد فى سلام مـع بعضه ، ما متنافر •• التناسق سلام •• دا كل ما يمكن ان تهدفه ليهو الكلمـة ، اذا كانت شـعراً أو نثراً أو غناء •• كل ما تهـدف ليهو الموسيقى •• كل ما يهـدف ليهو النحت ، والتصوير •• كل ما تهدف ليهو التعبيرات فى الرقص ، وفى كـل وسائل التعبير عـن ملكتنا •• وهو هـو كل ما تهدف ليهو العبادة أيضا •

مـا افتكر ضـرورى نتكلم عـن الفنون اكثر مـن كدا ، لانـو المجـال مفتوح فيها لنقاش أطـول •• والآن نجىء لنظرة الاسـلام للموضوع دا :ــ

نظـرة الاسـلام الى الفنون :

أول ما يجب ان يقال انو ما فى حرام ، وحلال ، الا فى اعتبارات

«الشـريعة •• ما فى حاجة هى حـرام فى ذاتها •• الاعيان مـا فيهن حرام ، لكـن الحـرمة حكـم •• والسر فى الحكـم ان تكـون عندنا الارادة البتسـيرنا بين الحـلال والحـرام •• ناخذ مـن الحـلال ما شئنا ، ونجتنب الحـرام •• عنـدما تحـاول تجتنب الحـرام فى دوافع داخلية عاوزة منك ضبط ، وقوة ارادة ، وقوة فكر ، لتمنعك مـن التردى •• دى الحكمـة فى الحـرمة ، حيث وجـدت ، مـن نشأة العـرف الأولانى ، والى يوم الناس دا •• ما فى حاجة هى حـرام فى ذاتها •• وربنا يعبر لينا عن دا ، ويقول : « ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم ، وآمنتم ؟؟ وكان الله شاكراً عليما » •• أو يقول : « قل من حـرم زينة الله التى اخـرج لعباده والطيبات مـن الرزق ؟؟ قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة •• كذلك نفصل الآيات لقـوم يعلمون * قل انما حـرم ربى الفـواحش ــ ما ظهـر منها ، وما بطن ــ والاثم ، والبغى بغير الحق ، وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ، وان تقولوا على الله ما لا تعلمون •• »

كل المحـرمات مـن الصور الحسية انما هى حـرمة بالحـوالة واما الحـرمة بالاصـالة فانما هى عيـوب السلوك •• السلوك بيـدأ بالطـريقة البتعيش بيها ، فى سـلام مـع نفسك ، وفى سلام مـع الآخرين ، وهـذا هـو مـا سميناه « التنغيم » مـع المجتمع ، أو العـدل ، أو السـلام ــ فكل ما حـرم انما حـرم من اجـل تربيتنا لنستطيع ان تكتمل عقولنا ، وادراكاتنا ••

الحـرمة حكـم شـرعى :

هنا ، اذا كان الانسان شاف النقطة دى حقيقة ، وذلك كونو التحريم حكم شرعى ، والحكم الشرعى ، دائما بتوخى تسييرنا نحـن فى المراقى «المختلفة ، يبقى ، بطبيعة الحال ، وبالبداهة ، بننتظر ان يكون فى سماحة»

ان يكون فى تغيير فى شدة التحريم كلما تغيرت ادراكاتنا ، ولذلك الحرمة كانت غليظة فى الاول ، وبدت تقل ، وتقل ، لغاية ما هى ماشة لان تفضى الى الحل •• القرآن يقول لينا « ليس على الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، جناح ، فيما طعموا ، اذا ما اتقوا ، وآمنوا ، وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا ، وآمنوا ، ثم اتقوا ، واحسنوا •• والله يحب المحسنين » أو يقول هناك «قل لا أجد فيما اوحى الى محرماً على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة ، أو دما مسفوحاً ، أو لحم خنزير فانه رجس ، أو فسقاً أهل لغير الله به » فهذه اربعة •• ثم قال مواصلا سياقه : «فمن اضطر ، غير باغ ، ولا عاد ، فلا اثم عليه» •• الضرورة ترفع الحرمة •• المعرفة ترفع الحرمة •• لانه قد انتفى حظ النفس عند المضطر ، كما ينتفى حظها عند العارف بالله •• هنا ، اذا كان بقى واضح فى اذهاننا انو التحريم أطوار ، وان الحكمة وراءه تربيتنا ، يجىء موضوعنا فى الاسلام •

الاسلام بيحرم النحت ، وبيحرم الرسم ، وبيحرم ، تبعاً لذلك ، التصوير •• ودى فيما روى عن ابن عباس انه قال ان النبى قال : « من صور صورة يعذبه الله حتى ينفخ فيها الروح ، وما هو بنافخ فيها ابداً •• »

صور الفوتغرافيا الحرمة قائمة فى حقها ، ولكن بصورة أخف •• حرمت الموسيقى ، وحرم الغناء ، عند بعضهم ، ما كلهم •• بعضهم بيرى أن الغناء ما حرام ، لكن ، فى عبارة ، انو لهو ، وكل ما يلهى عن الله ، عند بعض المتشددين من الفقهاء ، فهو حرام •• الحكمة فى التحريم مرحلية •• السبب فيها انو الناس ، زى ما قلنا ، كان عهدهم قريب بعبادة الأوثان ، وبالجاهلية ، ويمكن أن يحنوا الى الاوثان بالعبادة اذا ما رأوها تنحت •• برضهم كانوا قريبين عهد باللهو ، فى مواخير الجاهلية ، من

غناء ، ومـن رقص ، ومـن موسـيقى •• حرمت عليهم المسـائل دى لتعطيهم فرصة ليجمعوا انفسهم عليهم بـدل التوزيع البيحصل للانسان المعرض للغناء ، للهـو •• اذن يمكنك أن تقول ان الاسـلام حرم مـن الفنون النحت ، والرسم ، والتصوير ، وكل ما يكـون ليه ظل •• حرم رسم أو تصـوير الانسـان ، أو الحيوان ، أو الطائر ••

رسـم الطبيعة غـير محـرم :

تسامح الشرع فى رسم الجبال ، أو رسم الشـجر ، أو زخـرفة الاقمشـة ، بالصور اليمكـن أن تكـون ماها انسان أو حيـوان ، أو طـائر •• الغـرض من التحـريم أن يقطـع حنين الانسـان للعبادة الوثنية •• أو ، بأيجاز ، يمكنك أن تقـول : ان تحـريم الدين ــ تحـريم الشريعة الاسلامية ــ للموضوع دا الغـرض منه مرحلى •• اذا كان هسع أى واحد مننا شـاف ليهو تمثال زى دا ، ما بينبعث فى ذهنه أى نـوع مـن العبادة ، أو أى شـعور بيها ، أو جيل •• الناس ، فى اول عهـدهم بالاسلام ، بينبعث فى ذهنهم شـعور زى دا •• لكـن ما ممكن أن ينبعث فى ذهنك ، أو فى ذهنى ، ولا فى ذهن أى واحد مـن الناس فى الوقت الحاضر •• لذلك الحكمة فى التحريم هـذا ، انما هى حكمة مرحلية ، الحكم فيها هـو حكم الوقت كيفما يكون •• والسر فى هـذا الحكم بينسـحب علـى حالة عبـادة النـاس فى وقتهم المـاضى ، كما ينسـحب علـى حالة العبـادة فى الوقت الحاضر ، ولكن لكل وقت حكمه •• فهـل يمكن للانسان ، مثلا الداعى الاسلامى ، فى الوقت الحاضر ، هل يمكن له ان يقـول للناس سيروا بطرق الفن الى الله ؟؟ بمعنى آخـر هل الدين (الشريعة) رفع كل اعتراضه علـى الفنون ؟؟ تلقى انو برضـو المسألة فيها نظـر •• هـذا النظر هـو تربية الانسان الفى حاجة لتربية •• كل مبتدىء

التوزيع يضره •• اذا كـان الانسان سار بالطـريق الـديني المرسوم ليهو ، وكانت محـاولته هي أن ينحصر في أن يوجـد نتيجة بطـريقة الدين ، اللي هي العبادة بالصورة الموجودة عندنا فـان الفنون توزعه ، والتوزيع يضره ••

الفنون تسـير النـاس الى الله :

اما اذا استوى ، فمن الممكن لهـذا الانسان أن يتخذ كـل وسائل التعبير لتسيره الى الله •• الانسان الاستطاع أن يجـد فرصة لتوجيه ، ورياضة نفسه ، حتى اصبحت عندو فلسفة حياة ــ عندو نظرة للاشياء ، عندو اتقان للتوحيد ــ ما في شيء ، بالمرة ، يقطعه ، أو يوقفـه عـن الله •• النحت يـوديهو لي الله ــ يسـيرو لي الله ــ الموسـيقى تسيرو الى الله ، الرقص يسيرو لي الله ، وكل وسائل التعبير تسيرو لي الله •• في المـرحلة الأولانية ــ في شريعة الاسـلام ــ المسائل دى حرمت •• هي محـرمة بنص الحـديث القريتو ليكم ، وذلـك لانهـا بتوشك أن تخلى الانسان يحن للعبادة ــ عبادة الاوثان ــ وتلك عبادة هـو قـد كـان قريب عهـد بيها •• أما في الوقت الحـاضر ، في المرحلة الحاضرة ، فما أحب أن اقـوله هـو ان وسائل الفنون كلهـا راح تسير الناس لي الله •• هسع ، في الوقت الحـاضر ، كل المطلوب مـن الناس هـو ان يتوخوا ، في أول مرة ، كيف يسيروا ، بطريق العبادة ، ليوجدوا نوع مـن التماسك الداخلي ، نوع مـن النظرة الموسعة •• بعدين كل انواع الفنون راح تكون مسيرة الى الله ••

المبتـدىء يضـيق عليـه :

بايجاز !! التحـريم في النهج البدائي للاسلام مؤكد •• فهـو ضـد الموسـيقى للمبتدىء ، ضـد النحت ، ضـد التصوير ، ضـد

الرقص ، ضد كل مسألة من المسائل البتوزع المبتدىء .. اذا كان الانسان استطاع أن يحصر نفسه فى نهج واحد ، اللى هو العبادة ، ثم فى محاوله احراز التوسع (باتقان التوحيد) فى المسائل الاخرى ، من اساليب التعبير المختلفة ، والفنون اقدمها ، والكلمة اسلمها ، افتكر بيكون فى سعة فيما بعد .. لكن ، قبل ما تكون فى سعة ، القاعدة عندهم أنو المبتدىء ، زى ما بترد العبارة الدارجية : « المبتدىء ابرته ما بتشيل خيطين .. » .. المبتدىء يجب أن يكون عنده اتجاه فى الانحصار ، فهو لا يمكن ان يسمح ليهو ، فى مسألة الارتقاق بالفنون ، الا بالكلمة ، وموش بالموسيقى ، لان الموسيقى لا تعطى معنى محدد .. عندما انت يكون عندك استعداد لتدرك عن الوجود كله ، فان الموسيقى أبلغ من الكلمة ، لان الموسيقى تقول لك كل شىء عجزت الكلمة عن ان تقوله .. لكن عند المبتدىء الموسيقى بتشوش عليهو ، وأما الكلمة فانها محددة .. ولذلك تلقى ان القرآن يتخذ موسيقاه من الكلمات أولا ، ثم هو ينطلق فى موسيقى علوية ، كأنما هى موسيقى الوجود كله .. عند الكمال ، للمكتمل ، القرآن بيخرج عن كونو عبارات محددة ، ومضبوطة ، وبالصورة دى ، بيبقى وحى علوى ، يعلمك كل شىء ، بدون أن يعلمك شىء بعينه ، خصوصاً المتشابه من القرآن .. فاذا كان أنا شخصياً سئلت عن النهج اللى حقو يتجه ليه المسلمون كلهم ، فى الأمر دا ، أنا اعتقد أنهم كلهم يجب أن يتجهوا للعبادة ، بالانحصار فيها ، ثم فى تفتق الذهن ، فى اثناء العبادة ، فى معانى الكلمات من القرآن ، وفى الشعر الجيد ، من الشعر العرفانى ، وباستمرار يكون فى توسع .. وكلما انت اتقنت التوحيد ، كلما قلت دائرة المحرمات عليك ، الى ان تكون انت الانسان العندو الملكة التى تتلقى العلم بالله عن كل شىء .. مافى فى الوجود شىء ما بيدعو الى

الله •• ابليس ، زى جبريل ، داعى لى الله •• الله ، فى الحقيقة ، ما عندو عدو •• لكن ، فى مرحلة الشريعة ، الوجود مقسوم الى داعى لغير الله ، والى داعى لى الله •• مما يدعو ، فى المرحلة ، لغير الله كل ادوات اللهو، ومنها الفنون •• اذا كان انت استويت على الغاية ، بتسمع وترى الوجود كله جنود لى الله ، ودعاة لى الله ، ورسل من الله اليك تسوقك لى الله •• فاذا كنت انت فنان موهوب ولكن ما وجدت الفرصة لتنحصر فى العبادة ، لتعرف ، لتخرج من الثنائية دى بتجويد مستوى من التوحيد ، من المؤكد ان الفنون قد تسيرك درجة ولكنها راح تقطعك ، ما بتوديك لى قدام •• اذا كان فى شىء ، من العلوم المدنية ، بسير الناس الى سماحة فى الخلق ، الى مستوى من التنغيم الداخلى ، الى نوع من العلاقة الحسنة مع الحياة ــ نوع من السعة ــ فأن ذلك الشىء لهو الفنون ، ما فى ذلك شك •• ولكن وسيلة الفنون قاصرة الا اذا تم لها التتويج بوسيلة الدين •• فكأنو ،اذن ، الاسلام فىأوله ، وفىآخره ، اعنى فىدعوته الأولانية ، وفى دعوته الثانية بيحرم هذا المستوى من الفنون ، لكن داك على التعميم ، اعنى شريعة عمومية ، ودا لكل فرد شريعته ، اعنى شريعة خصوصية •• الحاجة السليمة هى انك انت تتوجه ، وتنحصر ••

كل الفنون حلال اليوم :

انا شخصيا ما راح اكون من البوصوا انو يجىء تشريع يقول الفنون حرام •• لكن يجب ان يجى تفهيم للناس يقول لكل واحد: اذا كنت انت ما استويت ، فى التوحيد ، على درجة معينةمن الاستواء ، فان الفنون بتصرفك ، وبتوزع جمعيتك ، وبتقطعك •• الفنون هى خير اساليب التسيير الى الله ، ولكن بعد ما انت توجد نوع من التنغيم الداخلى ، بتجويد التوحيد ، بالانحصار فى العبادة ، بالخروج

مـــن الدوامة بتاعة المجتمع ، وبتاعة التغييرات المختلفة ، فى الفنون المختلفة ٠٠ لغاية ما انت توجد نوع مـــن القالب المتصب فيهـو نفسك ، وتصوغ اخلاقياتك ، وتجـد فلسفتك ٠٠ فــان انت وجـدت فلسفتك فى الحياة ، فانك خليـق ان تنفتح علـــى كل الفنون ، وكلهـا بتسيرك لى الله ، وسـيكون عندك حظ موفور مـــن ادراكها ٠٠ وقـد يكون عندك حظ مـــن تجـويدها ، اذا كنت فنان ، بكل وســائل التعبير فيهـا ، باكثر مما يكـون عنـدك قبل ان توجد هـــذا النوع مـــن التربية الداخلية ٠٠ مـــن اجـل دا ، انا افتكر ، العبارات الكثـيرة الواردة فى الدعوة الى تنزيه القرآن ، وانه ما هــو شعر ٠٠ القرآن يشبه الشعر ، وما هو بالشعر : «وما علمناه الشعر ، وما ينبغى له !!». وانت ، اذا جيت لدقائق القرآن ، فانه الشعر !! و اكثر من الشعر، ولكن ملابسات الشعر فى عدم الالتزام ، وعدم الصدق ، هى ما نفـاهو الله عـــن القرآن ٠٠

الاخـــلاق والفنـــان :

انا افتكر برضو الفنان ، كائناً مـــن كان ، سواء اكان نحات ، او موسيقار ، أو مصـــوراتى ، أو راقص ، أو ممثل ، بتلقاهو ما هـــو ملتزم ، ما عنـدو خلقية معينة ، اللهــم الا خلقية بيعتقد ان الفـــن بيســتلزمها ٠٠ الخلقية الأنا بقصدها انما هى الصـــدق فى مسـتوى الفعل ، القبيل انا قلته ــ الصدق الذى يتحد فيه الفكر ، والقبـــول ، والفعـــل ٠٠ انا ما بعتقد ان الفنـــان ما عنـدو قيمـــة خلقية فى نفسه يلتزمها ، لكن ، ما من شك ، انو موش فى مستوى الانضباط اللى نحن بنقصده ٠٠ لعل الفنان ، الموزع بالصورة دى ، بتلقاه يظهر بمظهر البهدلة كدا ٠٠ يرسل لحيته بصورة بدون تهذيب ، ولا تنظيم ، أو يلبس ملابس مهزاة ، او يكون ماسائل فى النظام ، أو فى رأى المجتمع ٠٠ قد يكون،

انا افتكر ، انه هــو بيبحث عــن قيمة • انا بحب ان اهــديه للقيمة دى ، هى فى العبادة والقرآن •• سيجدها حاضرة حين يتجــه للالتزام بادب القرآن — ادب شريعته وادب حقيقته ••

هنــا اقف ، واترك ليكم الفرصة للنقاش •• اكتر مــن كدا كتــير عندنا مما يمكن ان يقال ، ولكــن ، ما مــن شك ، انكم بتعينوا كتــير بمشاركتكم فى النقاش لاجلاء القضية دى ••   شكراً